

أَمْرُكَ بِالْفَيْضِ
إِلَى التَّنْزِيرِ وَالتَّقْدِيرِ

تألیف
السید العلامہ
محمد عبد اللہ عوچھی
حفظہ اللہ وآبپاہ



صف وتحقيق وابراج:



اليمن - صعدة - ت ٥٣١٥٨٠

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ

جميع الحقوق محفوظة للكتابة أهل البيت (ع)

[المقدمة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خالق الخلق، ومدير الأمر، العليم القدير الحي القديم، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين، حجج الله على خلقه، وشهادؤه على عباده، الذين من اتبعهم نجا، ومن خالفهم ضل وهوى، أما بعد:

فهذا مختصرٌ لطيف في معرفة الله تعالى وما يلحق بذلك من أصول الدين، محتوي على الغالب مما في كتاب العقد الشرين، وعلى زيادات هامة أيضاً ينبغي معرفتها.

هذا، ولم آت بشيءٍ جديد، بل كل ما ذكرته فيه مستوحى عن أئمة أهل البيت عليهما السلام، والجديد هنا هو السهولة في التعبير بحيث لا يحتاج المبتدئ إلى كثير في فهمه، وتتبغي قراءاته للمبتدئين قبل العقد الشرين أو بعده، والحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا وما كان لنهندي لو لا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على محمد وآلها.

أول الطريق إلى العلم بالله

العقل من طبيعته التفكير، وله القدرة وحده على معرفة الله تعالى، وما يستحقه من القدسية والكمال والجلال، غير أن الله سبحانه وتعالى قد عزز العقل بالرسل والكتب، فهداهم

وأرشدتهم إلى طرق التفكير الصحيح الذي سيوصلهم حتماً إلى معرفة الله تعالى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطرفة: ٣٥].

هنا يخاطب الله العقلاً: هل خلقوا من غير شيء؟ هل هم الخالقون لأنفسهم؟

ولا شك أن العقلاً جميماً لا يقبلون واحداً من هذين الافتراضين، ولا يحتاجون في تفسيرهما إلى تفكير، بل ب بدون ذلك ببداهة عقولهم من غير تردد ولا تفكير ولا نظر، وحيثئذ لم يبقَ أمام العقلِ إلَّا أنْ يُصَدِّقَ ويؤمن بأنَّ له حالقاً خلقه وسواه، شقَّ سمعه وبصره ... الخ.

وهكذا كل ما يجده العاقل من المحدثات، فإن العقل يفترض ثلاثة تساؤلات في تفكيره لا غير:

- هل حدثت هذه الأشياء من غير شيء؟
- هل أحدثت هذه الأشياء أنفسها؟
- أم أحدثها حديث؟

ولا يجد العقل افتراضاً آخرَ يفترضُه، بل يحتمُ عليه تفكيره أنْ يختار واحداً من هذه الثلاثة التقادير، والافتراض الأخير - وهو أنه أحدث هذه المحدثات محدث - هو الذي يقبله العقل، ويطمئن إليه.

المرحلة الثانية من التفكير

بعد التصديق بأن هذه المُحدَّثات قد أحدثها مُحدِّثٌ، فإن العقل حتّماً يتّصل بتفكيره إلى الخالق الذي أحدثها فيؤمن ويُصدّق بأنه:

- موجود؛ لأنّه لا يقبل العقل بخالق معدوم.
- حيٌّ؛ لأنّ الفعل لا يصدر من ميت بالضرورة.
- قادرٌ؛ وذلك لأنّ الفعل لا يصدر من عاجز.
- عالِمٌ؛ وذلك لأنّ الفعل المُحْكَمُ المُشَتَّمِلُ على غاية الإحكام والإتقان لا يصح ضرورةً من جاهل.

فكلُّ هذه الصفاتٍ يؤمّنُ بها العقلُ، ويُصدّقُ بها، ولا يحتاج العقلُ في الإيمان بها إلى تكرير النظر، بل يكفي النظر الأول، فتحصل هذه الصفات الأربع بالتبع للنظر الأول.

فإذا عرف العقل أنه لا بدّ لهذا المحدث من فاعل - عرف أن هذا الفاعل متتصف بهذه الصفات الأربع ضرورةً.

وهو بكل شيء عليم

إتقان المخلوقات وتقديرها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، وتقدير الأرزاق للحيوانات، وحفظه لها، وهدايته لها إلى مصالحها، كل ذلك يدل على إحاطة علم الخالق بكل شيء، وكذلك فإنك ترى إتقان الخلق وإبداعه في كل ورقه، وفي كل زهرة، وفي كل شجرة، وفي كل ثمرة، وفي خلق كل دابة،

في النحله والنملة وإلى آخر ما خلق الله تعالى، كل ذلك يدل على إحاطة علم الله تعالى بكل شيء، وقد قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَأَيْعُهُمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [الجادلة:٧]، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْعِيْنِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

هو الأول والآخر

والله - سبحانه وتعالى - قديم لا أول لوجوده، ولا آخر لوجوده. والدليل على أن الله تعالى لا أول لوجوده أنه لو كان لوجوده أول لوجب أن يكون محدثاً مخلوقاً، فيحتاج حينئذ إلى خالق خلقه، ومحدثٌ أحدَثَهُ، وهكذا إلى ما لا نهاية، وللعقل في هذه المسألة افتراضان لا غير:

- إما أن يكون الخالق قديماً.
- وإنما أن يكون محدثاً.

وقد بطل بالدليل العقلي الذي قدمنا أن يكون الخالق محدثاً، فوجب أن يكون قديماً، وعلى هذا فيجب التصديق والإيمان بأن الخالق تعالى قديم لا أول لوجوده.

وهو السميع البصير

يجب الإيمان بأن الله تعالى سميع بصير، ومعنى ذلك: أنه تعالى لا يخفي عليه شيء من المسموعات، ولا من المرئيات، فهو سبحانه يسمع كل شيء مما يُسمع، ويرى كل شيء مما يُرى، لا تخفي عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ويجب أن نعرف هنا أن رؤية الله وسمعه للأشياء ليس بالآلة سمع وآلة بصر كما في الحيوانات، فليس له تعالى عينان يبصر بهما، ولا أذنان يسمع بهما، وليس له قلب وعقل يفكر بهما، تعالى سبحانه عن ذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ليس كمثله شيء

أولاً: المخلوقات الموجودة هي أجسام، وهذه الأجسام لها صفات وهيئات، وهذه الصفات والهيئات اسمها أعراض، فالأعراض إذاً هي توابع للأجسام، وليس شيئاً مستقلاً. والجسم ثلاثة أنواع: حيوان، ونبات، وجماد، وكل هذه الثلاثة الأنواع طبيعته الضعف والتحول، فالحيوان يتحول إلى جماد لا حياة به، ثم إلى تراب، وكذلك الجماد يتحول من حالة إلى حالة أخرى، فالحديد وهو أقوى الجمادات وأصلبها قد يحوله الصدأ إلى تراب، والحجارة قد تحول إلى تراب وإلى نورة، والنبات كذلك، وت sama كثما وصفه الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد: ٢٠].

ثانيًا: الأنواع الثلاثة التي قدمنا ذكرها كلها محدثة، أما النبات والحيوانات فبالمشاهدة والضرورة، وأما الجمادات فأثر التقدير فيها يدل على أن ثم مقدراً قدرها، وجاعلاً جعلها على تلك الكيفيات والتشكيلات، وإذا كانت كذلك فهي محدثة لوجود دلائل الحدوث فيها.

هذا، وبناءً على ما قدمنا فلا يجوز أن نشبه الله تعالى بشيء من المخلوقات؛ وذلك أنه لو أشبه شيئاً منها لكان ضعيفاً معرضًا للتتحول، ومعرضًا للآفات والتبدل والزوال، ولكان محدثاً، وقد ثبت أنه تعالى خالق الأجسام، وعليه فيلزم أن لا يكون جسماً، ولأن الشيء لا يخلق مثله.

فإذا ثبت أن الله تعالى ليس جسماً، وانتفت صفات الأجسام جميعها تبعاً لنفي الجسمية - فليست تعالى في مكان، ولا يدرك بالحواس، ولا يتصرف تعالى بالحركة والسكن، والاجتماع والافتراق، والرطوبة والبيوضة، والطول والعرض، ولا بالألوان، ولا بالمشي والهرولة، والصعود والنزول، ولا بأي كيفية؛ لأن ذلك كله من صفات الأجسام الضعيفة المحدثة، وكذلك فلا يتصرف بالوجه والجنب واليدين والساقي والعينين، ليس في مكان، تعالى سبحانه أن يكون في السماء، أو في الأرض، ولا تحده الفوقة والتحتية، ولا اليمين والشمال، والخلف والأمام.

كان الله سبحانه ولا شيء، لا مكان ولا زمان، ولا سماء ولا أرض، ولا عرش ولا كرسي، وهو خالق المكان، مستغن عن المكان، وخالق الزمان، فلم يتقدمه زمان.

ليس بنور ولا ظلام، لا تجوز عليه الغفلة والتوم والنسيان، ولا يجوز أن يقال: إنه تعالى يفرح ويُسْتَرُّ، أو يلحقه الهم والغم، أو يتأنم أو يلتذ، أو يشتهي أو ينفر؛ إذ أن كل ذلك من صفات الأجسام الضعيفة المحدثة، وقد ثبت أن الله تعالى ليس بجسم، فوجب أن ننفي عنه تعالى كل صفات الأجسام على الإطلاق.

هذا، والأمر الذي يدور عليه رحى التوحيد هو نفي التشبيه عن الله تعالى على الإطلاق، وصدق أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (التوحيد أن لا تتوهمه)، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

[آيات متشابهات]

قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدْأَهُ مَبْسُوطَاتِنِ﴾ [المائدة: ٦٤] تفسيرها في الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٧٤] وقد جاءت هذه الآية جواباً على اليهود حين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، بمعنى أنه بخيل، فرد الله عليهم بالأية السابقة. وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [النمرود: ١٤] معناه: تجري في حراستنا وحفظنا. وقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [ازمر: ٥٧] معناه: في طاعة الله. وقوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٥]، أي: الجهة التي وجهكم إليها. وقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١٦]، أي: تعلم سري وغيبي، ولا أعلم سرك وغيبك، وقوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١]، أي: قدرتنا. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٣] بمعنى استولى على الملك بالقدرة والسلطان.

وفي القرآن كثير من الآيات المتشابهة التي لا يعلم تأويلاً لها إلا الله والراسخون في العلم من أهل البيت عليهم السلام.

[التصديق والتصور]

نعم، العلم ينقسم إلى قسمين: علم تصدقي، وعلم تصوري، والذي كلف الله تعالى به عباده هو الإيمان به، والإيمان به هو الصديق به.

أما التفكير في الله تعالى وتصوره فلا يجوز ذلك؛ وذلك لأن عقول البشر وإن اجتهدت في التفكير - لا تستطيع أن تتصور إلا المخلوقات، بل إنها لا تستطيع أن تتصور من المخلوقات إلا ما قد عرفته، وإليك بعض الأمثلة:

لو أن رجلاً لم يطعم الحالي ولم يذقه فإنه لا يستطيع أن يتصور الحلاوة وإن بالغت في شرحها له وتوضيحيها، وكذلك الأعمى - الذي ولد أعمى - لا يستطيع أن يتصور الألوان ولا النور والظلام، وكذلك أنت أيتها البصيرة لا تستطيع أن تتصور لوناً غير ما عرفته من الألوان.

وبناءً على هذا فإن الفكر إذا ذهب بتصور الخالق - جل وعلا - فإنه بلا شك ولا ريب سيشبهه بالمخلوقات التي ألهها وعرفها، ولا يستطيع أن يتجاوزها بتفكيره، فلأجل هذا يحرم على العاقل أن يفكر في الخالق أو بتصوره، ويفيد هذا الدليل العقلي الذي ذكرنا.

[أدلة الكتاب والسنّة]

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه، ١١٠]، ومن السنّة قوله ﷺ: ((تفكروا في المخلوق، ولا تتفكروا في الخالق))، وقول الوصي عليهما السلام: (التوحيد أن لا تتوهمه).

[وفاق وخلاف]

اتفق المسلمون جميعهم أهل السنة جميعاً، والشيعة جميعاً على أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنه لا يشبه المخلوقات، وأنها لا تشبهه. ثم قال بعضهم: إن له وجهًا ويدين وجنبًا وقدمين وأصابع، وأنه يضحك ويفرح ويغضب، ويقوم ويقعد، ويمشي ويهروء، ويطلع وينزل، فأتبتوا الله تعالى كل ذلك، وشبهوه بمقولتهم هذه، ثم حاولوا الهروب من التشبيه الذي وقعوا فيه فقالوا: إن له وجهًا يليق بجلاله، ويدين تليقان بجلاله و.. إلخ. وتارة يقولون إن له وجهًا بلا كيف و.. إلخ. وينزل بلا كيف، ويطلع بلا كيف، ويقعد بلا كيف، ويمشي بلا كيف، ويهروء بلا كيف، و.. إلخ؛ وكل ذلك لا يخرجهم من دائرة المشبهين، فقولهم: إن له تعالى وجهًا يليق بجلاله، ويدين تليقان بجلاله مما يؤكّد التشبيه، ويتحقق التجسيم، فإن الحيوانات كذلك، فللجمل يدان تليقان به، وللإنسان يدان تليقان به، وللنذرة يدان تليقان بها و.. إلخ، فلا تليق يدا الإنسان للجمل ولا للحمار ولا للنذرة والنملة، ولا يدا بعض الحيوانات للبعض الآخر.

وقوهم: له وجه بلا كيف و...الخ، ويُرى يوم القيمة بلا كيف، ويجلس على العرش بلا كيف، ويمشي وينزل، ويصعد ويهرب، ويضحك ويكلم بلا كيف - قوهم هذا لا يمكن العقل أن يصدق به؛ لاستحالته.

وتوضيح ذلك أن اليد إذا كانت موجودة وحقيقة كما يقولون فلا بد أن تتصف بصفة وكيفية، فلا بد أن تكون طويلة أو قصيرة أو بين ذلك، أو صغيرة أو كبيرة، أو متحركة أو ساكنة، أو رطبة أو قاسية والخ، ولا يمكن نفي تلك الكيفيات عنها. وكذلك لا يمكن أن نصدق أن الله تعالى ينزل ويصعد ويهرب ويجلس من غير أن يكون هناك حركة وسكن، وكذلك لا يمكن أن يُرى في الآخرة من غير أن يكون متحركاً أو ساكناً، ومن غير أن يكون في الأمام أو الفوق أو ... الخ.

وربِّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ

مما يجب معرفته التصديق والإيمان بأن الله تعالى غنيٌّ لا تجوز عليه الحاجة، والذي يدل على ذلك من جهة العقل أنه قد ثبت بها تقدم أن الله تعالى ليس بجسم، وبناءً على ذلك فيجب نفي صفات الأجسام وخصائصها عنه تعالى، ومن ذلك السرور والفرح، والهم والغم، واللذة والألم، والشهوة والنفرة، والزيادة والنقصان، والخوف والأمن، وهذه الخصائص هي دواعي الحاجة والفقر، فإذا كانت ممتلكة عن الله تعالى انتفى تبعاً لانتفائتها عنه تعالى الفقر والحاجة، فإنه تعالى إذا انتفى عنه التلذذ فإنه يتلفي

عنه تبعاً لذلك الحاجة إلى كل أنواع الملاذ، وكذلك إذا انتفت عنه تعالى الشهوة انتفى عنه الحاجة إلى كل أنواع المشتهيات، وإذا كان سبحانه وتعالى لا يلحقه الهم والغم انتفى عنه تبارك وتعالى الحاجة إلى كل ما يدفع ذلك وهكذا ...

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطرٖ ١١]، وقال: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنَّتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم٨٤]، وغير ذلك كثير.

وبناءً على ما ذكرنا فإن كل ما خلقه الله تعالى من المخلوقات إنما خلقه لِحِكْمٍ ومصالحة عظيمة يعود نفعها إلى المخلوقات، ولم يخلقها تعالى لحاجة إليها، ولا ليتفتح بها، وهكذا كل ما أمر الله تعالى به، أو نهى عنه في كتبه، أو على السنة رسله - فإنه لم يفعل ذلك حاجة يعود نفعها إليه تعالى، بل إنما كان ذلك لصالح ومنافع تعود إلى المكلفين، ومن هنا قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصل٢٦:٤٦]، فهو سبحانه غني عن الكذب وخلف الوعد، وظلم العبيد، و... الخ.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء١٢٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد٣١]، وقال تعالى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَنِي وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق٢٩]، وغير ذلك كثير.

لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ

مَا يُحِبُّ التَّصْدِيقُ وَالْإِيَانُ بِهِ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَرَى، وَلَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

والذي يدل على ذلك أن الرؤية لا تصح إلا لما كان جسماً، وقد ثبت أن الله تعالى ليس بجسم، فلو رؤي الخالق سبحانه وتعالى لكان جسماً مقدراً بالطول والعرض والشكل، ومحدوداً بالفوقية والتحتية، والخلف والأمام، واليمين والشمال، وفي حالة تحرك أو سكون، وفي مكان مخصوص، وهذه كلها خصائص خاصة بالأجسام، وقد ثبت أن الله تعالى ليس بجسم. ولا يعقل أن يُرى تعالى لا في مكان، ولا مقدراً بطول وعرض، ولا محدوداً بالجهات، ولا في حركة أو سكون.

فقول من قال: إنه تعالى يرى بلا كيف كلام مرفوض عند العقل، فالرؤبة لا تكون إلا للمتكيف بتلك الكيفيات التي قدمنا، وقد قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَنْ تَرَانِ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

هذا ولم يسأل موسى عليه الرؤبة لنفسه، بل عن سؤال قومه، وتماماً كما حكاه الله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلٍ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفَّارُ إِلَيْإِيمَانٍ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهَرًا فَأَخَذَنَهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ ثُبْثُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فقد دلت هذه الآيات على أن الله تعالى لا يرى من وجوه:
 - التصرير بالنفي في قوله: ﴿لَنْ تَرَانِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] الشامل لجميع الأزمنة بما في ذلك الآخرة.

- قوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣]، مما يدل على أن سؤال الرؤية عصيان كبير.
- قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلُ الْكُفُرَ بِالإِيمَانِ﴾ [البقرة: ٨٠]، يدل على أن سؤال الرؤية من ذلك.
- أخذهم بعذاب الصاعقة التي لم يعهد من الله تعالى التعذيب بها إلا على الكافرين.
- تسمية السؤال ظلماً.
- قوله: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يدل على أن الله تعالى منزه عن الرؤية ومقدس عنها، وإلا فما فائدة التسبيح.
- قوله: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، يدل على أن سؤال الرؤية ذنب.

هذا، ويستدل المخالفون على أن الله تعالى سوف يرى في الآخرة بقوله تعالى: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيمة: ٩]، وبآيات اللقاء كقوله تعالى: ﴿أَنَّكُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، و﴿كُلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمْحُجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وبأحاديث رواها عن النبي ﷺ ك الحديث: «سترون ربكم يوم القيمة كالقمر ليلاً البدر».

والجواب على ذلك أن التفسير لقوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيمة: ٢٣] عند أهل البيت عـ أن الوجوه متظاهرة لرحمة الله، فالنظر في الآية بمعنى الانتظار. وأما آيات اللقاء فليس فيها ذكر الرؤية، والتفسير الصحيح أن لقاء الله بمعنى لقاء جزائه.

وأما الأحاديث فهي من الأحاديث التي لا يجوز بناء العقائد عليها؛ وذلك أنها من روايات الأحاداد، وهي لا تفيد إلا الظن عند تكامل شروط الصحة، والمطلوب هنا هو العلم.

قل هو الله أحد

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد، ١٩]،
 وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمُ
 قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران، ٢٣]، وقال
 تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا عَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنياء، ٢٢]، وقال
 تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَنَسَابَةُ الْخُلُقِ
 عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد، ١١].
 نعم، ما نراه من المخلوقات يدل على إله واحد، وخالق واحد؛
 وذلك أن المخلوقات على اختلاف أنواعها وكثرتها مترابطة
 بعضها ببعض، ومسخرة لغاية واحدة، وغرض واحد، وحكمة
 واحدة، ومصلحة واحدة.

فالإنسان يعيش على ظهر الأرض، وكل ما نراه على الأرض
 لمصلحة الإنسان، فالحيوانات مسخرة لمصلحة الإنسان، فهو
 يتغذى بالأكل من لحمها، وبالركوب عليها، وبالحراثة، ويستفاد
 بأصواتها، وكذلك تربة الأرض يستفاد بها الإنسان في الزراعة
 واستخراج الشمرات، ويستفاد بالأشجار والفواكه والثمار، وكذلك
 الماء يشربه الإنسان والحيوان والنبات وتستخرج به الشمرات
 والحبوب، وتظهر به الأبدان والثياب، ويستخرج منه لحوم

الاسماك واللؤلؤ والمرجان، ويركبه الإنسان في التنقل، وتنشأ منه السحاب الثقال التي تحمل الأمطار من بلد إلى بلد، والشمس كذلك مسخة لمصلحة الإنسان ولا تستقيم الحياة على وجه الأرض بدونها، وكذلك الهواء والأمطار والقمر والنجوم، فكل ذلك يدل على صانع واحد حكيم.

هذا، ولم نر أو نسمع عن إله آخر يدعى الإلهية، ولو كان ثمّ إله آخر لأنّنا رسّله وأنزل كتبه، والذي سمعناه هو دعوى المشرّكين الإلهية للأصنام، وهي حجار منحوتة من الجبال لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، ودعوى النصارى إلهية عيسى بن مريم، وكذلك دعوى اليهود أن عزيزراً بن الله، وهنالك دعاوى كثيرة: فمن الناس من يعبد البقر، وأخرون نوعاً من الشجر، وأخرون يعبدون الفروج، إلى غير ذلك، وبطّلان إلهية ما ذكرنا واضح البطلان.

[عدل حكيم]

معنى ذلك أن الله تعالى لا يفعل القبيح، وكل أفعاله صادرة عن حكمة، وكلها أيضاً حسنة لا يوجد فيها قبيح.
والدليل على أنه تعالى كذلك من جهة العقل أن الفعل القبيح لا يقع إلا لواحد من أمرين، أو كليهما:

- الجهل بقبح الفعل.

- الحاجة إلى ذلك الفعل القبيح.

وهذان الأمران متفيان عن الله تعالى، فإنه تعالى عالم بجميع

القبائح ﴿لَا تَحْقِّي مِنْكُمْ حَافِيَةً﴾ [الحاقة: ١٨]، وغنى عن فعلها، وقد قدمنا الدليل على غناه ونفي الحاجة عنه تعالى، وهو عالم أيضاً بأنه غني عنها، وكل من كان كذلك فإنه لا يقع منه فعل القبيح. هذا، وقد أجمعت كل طوائف المسلمين على أن الله تعالى عدل حكيم ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، غير أن بعض هذه الطوائف نقضت هذا الأصل المجمع عليه فقالت: إن كل فاحشة يفعلها العباد من كفر وفسوق وعصيان وكذب وباطل وزور، كل ذلك فعل الله، وإن الله تعالى هو الذي خلق ذلك وفعله وأراده وشاءه وقدره وقضاه، فنسبوا كل ذلك إلى العدل الحكيم، واتهموه بفعله، و... إلخ.

ثم قالوا: إن الله تعالى سيعذب العباد على ذلك، فنفوا بقوفهم هذا عن الله تعالى العدل والحكمة، ونسبوه إلى فعل الظلم والقبائح والكذب و... إلخ، فعطلا العدل والحكمة عن معانيها، وأكفأوا الإناء بما فيه، فلم يتركوا للعدل والحكمة عيناً ولا ثيراً، ولم يبق لهم من ذلك سوى تزييه الله تعالى بالحرف والألفاظ، فنزعوه تعالى بنفي الظاء واللام والميم، وأثبتوا له تعالى العين وال DAL واللام و... إلخ.

فمذهبهم هذا مذهب خالف للعدل والحكمة تماماً؛ إذ كيف يأمر الله تعالى بما قد خلقه، أو ينهى عما قد خلقه، وأي فائدة في إرسال الرسل، وإنزال الكتب؟!

وما يدل على بطلان مذهبهم:

- أن الإنسان يلحقه حكم فعله من المدح والثناء، والذم والاستهزاء، والثواب والجزاء، وأن الإنسان يحصل منه الفعل على حسب إرادته، فكل هذا يدل على أن الفعل من الإنسان لا من الواحد الرحمن.

- وأن الله تعالى قد أضاف أفعال العباد إليهم فقال: **﴿يُكَسِّبُونَ﴾**، **﴿يُمْكِرُونَ﴾**، **﴿يَفْعَلُونَ﴾**، **﴿يَصْنَعُونَ﴾**، **﴿يَكْفُرُونَ﴾**، **﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾**، ونحو ذلك في القرآن كثير. فالحق الذي تؤيده فطر العقول، وتشهد له الحكمة والعدل، وتنادي بصحته آيات القرآن - أن الإنسان هو الذي يفعل الطاعة أو المعصية باختياره وإرادته ومشيئته، وأن المكلف قادر على فعل ذلك وعلى تركه، وأن الله تعالى منزه عن فعل معاصي العباد، فلم يخلقها ولم يشأها ولم يُردها، وأن العصاة فعلوا العصيان من قبل أنفسهم وباختيارهم وإرادتهم، وأن الله تعالى قد هداهم النجدين، ومكنهم في الحالين، لم يمنعهم عن المعاصي جبرا، ولم يدخلهم في الطاعات قهرا، وأنه لو شاء ذلك لفعله كما قال تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾** [يونس: ٩٩]، يريد به تعالى مشيئة الإجبار؛ إذ لو أكرههم لبطل التكليف.

ولا تزر وازرة وزر أخرى

المعنى في ذلك أن الله تعالى لا يعذب أحدا إلا بذنبه، ولا يعاقبه بذنب غيره.

والدليل على ذلك من جهة العقل أن عقاب من لا ذنب له ظلم، وكذلك عقابه بذنب غيره، والظلم قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح كما تقدم، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا وَيَوْئِتُ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرًا أُخْرَى﴾ [الأعراف: ١٦٤]، إلى غير ذلك.

لَا يَكْلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا

من مقتضي العدل والحكمة أن الله تعالى لا يكلف أحداً إلا ما يطيق، وذلك أن تكليف ما لا يطاق قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح كما قدمنا، وقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ

تدل هذه الآية أن الله لا يقضي بالباطل والكفر والفساد، ومن هنا فلا يجوز القول بأن العاصي بقضاء الله تعالى ويراد بذلك أنه خلقها أو أمر بها أو أرادها أو شاءها، وقد يراد بالقضاء العلم، فيقال: إن العاصي بقضاء الله، أي: أنه تعالى عالم بها، وقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ طُلُّمَا لِلْعِبَادَ﴾ [غافر: ٣١]، وقال: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، فكل ذلك يدل على أن الله تعالى

لا يريد شيئاً من القبائح، ولا يحبه ولا يرضاه ولا يشاوئه، وقد تقدم الدليل الدال على أن الله تعالى لا يفعل القبيح، وإرادة القبيح قبيحة.

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

من مقتضى الحكمة أن الله تعالى لا يفعل لعباده ولا يكلفهم إلا بما يدعوههم إلى الفلاح، ويكسبهم الصلاح، سواء كان ذلك محنّة أو نعمة أو تكليفاً؛ وذلك لأنّه تعالى حكيم، والحكيم لا يفعل إلا ما هو صواب ومصلحة، فكل ما نرى من الأمراض والمحن، والخوف والأمن، والفقر والغنى، والخصب والجدب... إلخ:

أما النعم فوجه الحكمة فيها ظاهر مكشوف.

وأما المحن ففيها موعظة وذكرى واعتبار، وتماماً كما قال الله تعالى:

﴿ذَلِكَ وَيَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف١٦٨]،
﴿فَلَوْلَا جَاءَهُمْ بِأُسْنَانٍ تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام٤٣]، **﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّةٍ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾** [التوب١٢٦]، وهذا بالإضافة إلى ما أعد الله للصابرين.

وقد يكون بعض المصائب عقاباً، كما قال الله في سورة سباء وقصتهم: **﴿ذَلِكَ جَزِيَّتُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُلْ نُحَاجِزِ إِلَّا الْكُفَّارَ﴾** [سبأ١٧].

[محمد رسول الله ﷺ]

الدليل على نبوة محمد ﷺ أنه ﷺ حين ادعى النبوة أردف دعواه بالبرهان القاهر، وهو القرآن، فقد تحداهم ﷺ

حين كذبوا دعواه بأن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، ثم بأن يأتوا بسورة من مثله، فعرفنا حين لم يأتوا بشيء من ذلك مع شدة عداوتهم له وحرصهم الكبير على إبطال دعوته - أنهنبي صادق، وأن القرآن من كلام الله تعالى.

هذا، والمعلوم أن النبي ﷺ نشأ في مكة، ولم يخالط في نشأته الحكماء والعلماء، ولا أهل الكتاب، ولا عرف الفلاسفة وأهل الأخبار، فعلمنا حين جاء بالقرآن وقرأه على الناس، وفيه أخبار الأنبياء والمرسلين وكثيرين من الأمم الماضية، وفي الحديث عن بدء الخلق وقصة الملائكة وإبليس وآدم، وأخبار أهل الكتاب، و...و...الخ - عرفنا حينئذ أنهنبي صادق؛ إذ لو لم يكن صادقاً لكشف أهل الكتاب وأهل العلم عن كذبه، ونددوا بذلك، فلما لم يكن شيء من ذلك علمنا أنهنبي صادق.

وكذلك فإن القرآن قد اشتمل على كثير من الآيات التي تحدثت عما يسره المنافقون وغيرهم، ولو لم يكن الحال كذلك لسارعوا إلى التنديد به، ويتكذبوا في ذلك، ومن هنا قال الله تعالى: ﴿يَحْذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَيِّبُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبه: ٦٤].

هذا، وفي القرآن شيء كثير مما يدل على نبوة النبي ﷺ، وأن القرآن كلام الله تعالى والغرض هنا هو الاختصار.

من هنا فيجب التصديق بنبوة النبي ﷺ، والتصديق بأن القرآن كلام الله تعالى، والتصديق بكل ما جاء في القرآن، وامتثال أوامره، والانتهاء عند نواهيه.

وكذلك يجب الإيمان والتصديق بأن الله الذي جعله وفعله، وخلقه وفصله، وأنه كلام محدث ليس بقديم كما يقوله بعض الطوائف؛ لقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذُكْرٍ مَّنْ رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٌ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنياء].

وأنه كله حق لا باطل فيه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِكِتَابٍ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت].

وأنه لا تناقض فيه ولا اختلاف، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء].

[الإيمان بالكتب والرسل والملائكة]

يجب الإيمان والتصديق بكل ذلك، وقد أخبر الله في كتابه كيف كان إيمان النبي ﷺ والمؤمنين، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ بِإِيمَانٍ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة].

ومن أشهر الملائكة: جبريل وميكائيل وعزرايل، وحملة العرش، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَيِّحُونَ يُحَمِّدُ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ظَاهَرُوا﴾ [غافر: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ [المطففين]. ومنهم الموكلون بقبض الأرواح، وغير ذلك مما قص الله علينا ذكره في القرآن، وقد يكفي الإيمان والتصديق بهم جملة.

ورسل الله ﷺ أو لهم آدم أبو البشر ﷺ، ومنهم إدريس ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنباط وموسى وعيسى وهود صالح وشعيب، ومن ذكر الله أيضاً في القرآن: هارون وأيوب ولوط يوسف وزكريا ويحيى وغيرهم من ذكرهم الله، وكثير منهم لم يذكرهم الله في القرآن، قال تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. وقد يكفي الإثبات والتصديق بهم جملة، كما حكى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿عَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ عَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وأما الإثبات بالقدر فالمراد به أن أفعال الله مشتملة على الإتقان والحكمة والمصلحة، وكذلك أوامرها ونواهيه، وليس المراد بذلك أنه تعالى هو الذي خلق الكفر والفساد والظلم ومعاصي العباد، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

[أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَام]

أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَام معروفون، لا يناظرهم اليوم في هذا الاسم منازع، أو لهم بعد النبي ﷺ علي بن أبي طالب عَلَيْهِمُ السَّلَام، ولا ينقطعون ما بقي التكليف، وتماماً كما قال أمير المؤمنين في نوح البلاغة: (فهم باقون ما بقي التكليف)، الواقع يصدق مقال أمير المؤمنين عَلَيْهِمُ السَّلَام فما زال بيت النبي ﷺ معهوراً بالعلماء المعلنين بالدعوة إلى الحق إلى اليوم على منهاج واحد، وطريقة واحدة، وعقيدة واحدة.

فعلماء أهل البيت عليهما السلام اليوم أمثال: الحجۃ مجده الدين المؤیدی، وتلميذه الحسین بن یحیی الحویی - هم صورة تمثل علی بن ابی طالب وعقیدته، ودینه وطريقته.

وفرض الله تعالى على هذه الأمة حبة أهل هذا البيت ومودتهم واتباعهم، وأخبر أنهم أهل الحق، وقرناء الكتاب، وسفينة نوح، وأن متبعهم ناج، ومخالفهم ضال غاو، و... الخ.

وأدلة ما ذكرنا كثيرة في الكتاب والسنة، وقد ألف العلماء فيها مؤلفات كثيرة وشهيرة، مثل: الشافی للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليهما السلام، وكتاب لوامع الأنوار لشیخنا حجۃ الزمان مجده الدين بن محمد المؤیدی -أیده الله تعالى-، وغير ذلك كثير، ولو لم يرد في ذلك من الأدلة إلا حديث الثقلین المجمع على صحته بين المسلمين لکفى وأغنی، وهو قوله ﷺ: ((إنی تارک فیکم مَا إن تمسکتم به لَنْ تضلُّوا مِنْ بَعْدِي أَبْدًا: كِتَابُ اللهِ وَعَرْقَى أَهْلَ بَيْتِي، إِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَأَنِي أَنْهَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَى الْحَوْضِ)), ومن رواه من أهل السنة: مسلم في صحيحه وغيره بحيث لا يکاد يخلو من ذکرہ کتاب من کتب الحديث عند أهل السنة.

وليس غرضنا هنا سرد الأدلة في هذا الباب من الكتاب والسنة، فكثرة المؤلفات في هذا الباب تکفي كما ذكرنا، ولو لم يرد شيء من الأدلة لكان ينبغي لآل محمد ﷺ الذي هو أفضـل الأنبياء والمرسلين وخاتـمـهمـ أن يكونوا أفضـلـ من آل عمران وآل إبراهيم الذين قال الله عنـهمـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى عَادَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.

إِبْرَاهِيمَ وَهَوْلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمَيْنَ ﴿٣﴾ [آل عمران]، وقال: «فَقَدْ هَاتَيْنَا هَوْلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَةَ وَهَاتَيْنَا هُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٤﴾ [النساء]، كيف؟! وقد قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣﴾ [الأحزاب]»، وقال: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى ﴿٢٣﴾ [الشورى]»، وشرع الله تعالى الصلاة عليهم مع أبيهم في الصلاة، إلى ما لا يكاد يدخل تحت الحصر من السنة المتفق على صحتها بين علماء الإسلام.

[القول الفصل]

نعم، الأدلة قد قضت بأنه لا تتم حقيقة الإيمان والإسلام إلا من دخل في دائرة أهل البيت عليهم السلام، وحكمت أيضاً على من خرج من دائرة أهل الضلال والنفاق، وقد كثرت في ذلك الأدلة كثرة عظيمة حتى أنه مما جاء عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في ذلك أكثر مما جاء في الصلاة والصيام والحج من كتب أهل السنة وحدهم، من غير ما جاء في الكتاب الكريم وحديث الشيعة، هذا في حين أنه لم يرد عن الله تعالى في كتابه أو عن رسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه حرفاً واحداً يؤيد مذهب الأشعرية أو المجردة أو الوهابية، أو المعتزلة، أو غيرهم، اللهم إلا دعوا كل منهم أنه على الكتاب والسنة، أو أنه على ما كان عليه النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وأصحابه، أو أنه على مذهب السلف، غير أنهم لم يأتوا على دعاويم بحجج وبيانات وبراهين، ونقول لهم كما قال الله تعالى: «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١﴾ [البقرة].

[أساس الإسلام]

وصدق الرسول ﷺ حين قال: ((وأساس الإسلام حبنا أهل البيت)), أو كما قال، فإن من أحب أهل البيت وتولاهم يوفقه الله تعالى إلى المعرفة الحقيقة بالله تعالى و. و .إلخ.

إذاً فحقيقة الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ لا يوجد على الإطلاق إلا في دائرة أهل البيت علیهم السلام، أما ما كان خارج هذه الدائرة فإن إسلامه مدخول، ودينه مرذول، وتماماً كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث السفينة: ((إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تحلف عنها غرق وهوئ)). وهذه الأدلة وغيرها ترد على الإمامية الذين يدعون أن المراد بذلك اثنا عشر شخصاً لا غير، ونقول لهم: ﴿قُلْ هَأْنَا بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، هاتوا آية من كتاب الله، أو حدثنا مجمعًا على صحته بين طوائف المسلمين.

[توضيح وزيادة بيان]

مما بينه النبي ﷺ وشرعه لأمته أن يقولوا في الصلاة عليه كما جاء في البخاري ومسلم وغيرهما من كتب أهل السنة: ((قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد...)), ولا يحتاج مثل هذا إلى تعليق، فاللبيب يعرف أن من أمر الله تعالى بالصلاحة أولى بالحق من غيره، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، فقد فرض الله تعالى في هذه الآية على كل مسلم مودة آل محمد ﷺ فرضاً،

وحتمه حتماً، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما أن المراد مودة آل محمد ﷺ، وكذا غيرهما من أهل الحديث. تبين مما سبق أن أهل البيت هم أهل الحق، وبناءً عليه فإنه إذا اشتبه على المسلم شيء من دينه وعقيدته فيكتفيه لأن يستوضح الحق أن يسأل أهل البيت، أو ينظر في عقائدهم وأقوالهم. نعم، إذا صدقت المولاة لأهل البيت، وصدقت المحبة والمودة - فسيحصل عند ذلك الاطمئنان والتصديق بصحبة مذاهبهم في أصول الدين، وما يلحق به.

فإذا عرف المسلم أن أهل البيت يقولون: إن علي بن أبي طالب أفضل الصحابة على الإطلاق بعد النبي ﷺ، وإنه الأولى بالخلافة، والمستحق لها بعد النبي ﷺ، ثم الحسن، ثم الحسين، و... إلخ - فإنه يجزم بصحة ذلك ويعتقدوه.

وإذا عرف مذاهبهم في التوحيد والعدل والإمامية والشفاعة و... إلخ - اعتقاد ذلك ودان به، وجزم بصحته. وإذا والى أهل البيت أحداً والا، وإذا عادوا أحداً عاداه. وأن الذين تقدموا علينا عليهما بالخلافة قد تقدمواه بغير حق، وأنهم أخذوا ما ليس لهم.

وأن إمامية الثلاثة الذين هم: علي والحسن ثابتة بالنص. وأن الإمامة من بعدهم محصورة في أولاد الحسينين، وأن طريقها بعد الثلاثة الدعوة والقيام من جمع شروطها التي من أهمها: كثرة العلم، والورع، والشجاعة، والمسخاء، وجودة الرأي، وحسن التدبير...

[بيان شيء من مذاهب أهل البيت عليهما السلام في أصول الدين]

مذهبهم أن الله واحد لا شريك له، ولا مثيل ولا نظير، وأنه تعالى لا يتصف بصفات المخلوقات على الإطلاق، فليس تعالى بذي مكان وليس بجسم.

وعليه فليس له يدان ولا قدمان، ولا جنب ولا وجه وعينان، ولا لسان وشفتان، ولا يوصف تعالى بالطول والقصر، ولا بالصعود والنزول، ولا المشي والهرولة، ولا بالضحك والفرح، والسرور والغضب، ولا يتصف بالألوان، ولا بالسنّة والنوم، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ۚ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، لا يُرى سبحانه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وأن ما جاء من ذلك في القرآن فله عند الراسخين في العلم من أهل البيت تفسير وتأويل، يشهد بصحتها لغة العرب العرباء التي نزل القرآن بلغتهم، ويشهد أيضاً بصحتها أولوا الألباب الزكية الذين لم يدنس عقوفهم التقليد الأعمى والخرافات والعقائد الوهيمية الموروثة عن معاوية وبني أمية، وبني العباس. وهو قادر على كل شيء، إذا أراد شيئاً كان لا باللة ولا بحركة وسكن.

وعلم بكل شيء، لا تخفي عليه خافية، يسمع ويرى لا باللة سمع وبصر، ويتكلّم لا بلسان وشفتين. وأن كلامه محدث غير قديم.

وهو تعالى حي موجود.

ودليل ذلك كله أن ما نشاهده من الموجودات والحوادث لا بدّ لها من خالق حتماً؛ إذ لا يوجد فعل إلا من فاعل، فإذا ثبت أنه لا بد من فاعل، فلا بد أن يكون موجوداً وحياناً وقدراً وعالماً.

وأنه تعالى بريء من معاصي العباد، لا يشاؤها ولا يريدها ولا يرضاهما، ولا يحبها، وأن العصاة هم الذين وقعوا في العصيان بفعلهم وإرادتهم ومشيئتهم، ليس الله تعالى فيها فعل ولا إرادة ولا مشيئة.

وأن علمه تعالى بما سوف يكون من المعاصي وغيرها سابق غير سائق، بمعنى أن علمه تعالى بما سيكون من معاصي العباد ليس هو السبب في وقوعها منهم، وإنما لزم في أفعال الله تعالى ما لزم في أفعال العباد لسبق علمه تعالى بما سيفعله هو تعالى، ولا قائل بذلك.

وأن الشفاعة يوم القيمة تكون خاصة بالمؤمنين دون أهل الكبائر الذين ماتوا مصرين غير تائبين.

وأنه لا يكفي قوله: «لا إله إلا الله»، بل لا بد مع ذلك من الأعمال الصالحة، واجتناب الأعمال السيئة، فأماماً مجرد القول من غير عمل فلا يستحق به ثواب، ولا يدفع به عقاب، وصاحبه من أهل النار، اللهم إلا إذا شهد الكافر بشهادة الحق ثم عاجلة الموت عقيبها، أو تاب المسلم توبة نصوحًا ثم عاجلة الموت قبل أن يتمكن من الأعمال الصالحة - فإنه يُرجى لهؤلاء رحمة الله؛ وذلك أنهم لم يتمكنوا من الأعمال الصالحة.

وأن من دخل النار من الكافرين أو المنافقين، أو من عصاة هذه الأمة - فإنه خالد فيها أبداً لا يخرج منها. وأنه لا وثوق بالأحاديث التي ذكرت أن الشفاعة لأهل الكبائر من هذه الأمة، والتي ذكرت أن الموحدين العصاة سيخرجون من النار، والتي تحدثت عن الصراط والميزان والعرش والكرسي والرؤبة وكشف الساق؛ وذلك لأنها من أحاديث الآحاد، ورواتها غير ثقات عند أهل البيت عليهما السلام، مع مخالفتها للعقل والقرآن.

وأن علي بن أبي طالب أفضل الصحابة على الإطلاق، وأنه المستحق للخلافة والإمامية بعد النبي ﷺ، وأن الذين تقدموه قد تقدموا بغير حق، وأنهم أخذوا ما ليس لهم.

وأن المستحق للخلافة من بعد علي عليهما السلام هو ابنه الحسن عليهما السلام، ثم من بعده الحسين بن علي عليهما السلام، ثم ... ثم ... إلخ.

وهو لاء الثلاثة استحقوا الخلافة بالنص، ولو لم يكن إلا قوله ﷺ: ((إني تارك فيكم ...)) الحديث، ((علي مني بمنزلة هارون من موسى ...)), ((الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير منها)), ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)).

وأن أهل البيت خلفاء النبي ﷺ، بمعنى: أنهم القائمون مقامه، فيجب لهم ما كان يجب للنبي ﷺ من الطاعة والنصرة، وتحريم المخالفة، والرجوع إليهم، وتعظيمهم وتكريمهم ومودتهم، ومسالمة من سالموا، ومحاربة من حاربوا، ووجوب النصيحة في السر والعلن، و... و... إلخ.

وقد صح في الآثار أن الأرض لا تخلو من علماء آل محمد عليهما السلام، وها نحن اليوم وقد مضى أكثر من ألف وأربعين سنة لم تمر فترة من هذا التاريخ الطويل غاب عنها علماء أهل البيت عليهما السلام.

فهم شهداء الله على العباد، وحججه عليهم، أمرهم ظاهر، لا لبس فيه ولا ارتياب ﴿لِيَهُلَّكَ مَنْ هَلَّكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وعند أهل البيت عليهما السلام أن المستحق للخلافة من بعد الثلاثة هو من قام ودعا من ذرية الحسن والحسين عليهما السلام جاماً لشروط الخلافة، كزيد بن علي، ويحيى بن زيد، ومحمد بن عبد الله، وإخوته، و... إلخ.

وقد يكون هناك فترات لا يظهر فيها قائم آل محمد عليهما السلام لأسباب وموانع هم أعلم بها، غير أن حجة الله قائمة، وهم المعلنون عنها، وشهداء الله وإن أغmdوا سيفهم كما كان علي بن أبي طالب عليهما السلام هو الحجة بعد النبي عليهما السلام عرفه من عرفه، وجهله من جهله.

وقد يقول قائل: علماء أهل البيت مختلفون اليوم، وقد التبس علينا الأمر وعمي علينا الحق.

فنقول: قد التبس الأمر من قبل فلم يعرف الحق هل هو مع علي عليهما السلام أم مع معاوية؟ ثم هل الحق مع الحسين أم مع يزيد؟! ومن قبل ذلك هل الحق مع النبي عليهما السلام أم مع أبي جهل؟!

وهكذا، مع وضوح الحق من الباطل وغيره كتميز النهار من الليل.
ولا يلتبس ذلك إلا على من لبس على نفسه، وهذا النوع لا
تفيدهم الآيات والأدلة ﴿وَلَوْ جَاءُتْهُمْ كُلُّ عَيْةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٦٧].

هذا، ولم يلتبس الحق من الباطل منذ زمان النبي ﷺ إلى
اليوم، بل هو في غاية الواضح، وكلمة الله هي العليا، وكلمة
الذين كفروا هي السفلة إلى أن يرتفع التكليف، فالحق واضح
وإن ضعف أهله وقلوا، والباطل واضح وإن كثر أهله.

[من أسماء الله الحسنى]

سميع: بمعنى عالم بالسموعات كلها فلا يفوته شيء، لا بآلة،
ولا يجوز تشبيهه بالحيوانات.

بصير: عالم بالمبصرات، يشاهدها ويراها لا بمعنى ولا بآلة.
رحمن رحيم ودود برؤوف: بمعنى أن أفعاله تعالى وأحكامه
مبنيه على التيسير والتسهيل، والمراعاة لمصالح العباد في دينهم
ودنياهם وآخرتهم، وليس معنى ذلك رقة في القلب كما في الإنسان
والحيوان؛ إذ أن إثبات ذلك تشبيه لله تعالى بخلقه، وذلك لا يجوز.

والدليل على ما قلنا من التفسير أن الله تعالى قد قال: ﴿لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فلما رأيناه تعالى قد سمي نفسه بتلك
الأسماء كان حتما علينا أن نفسرها بما لا يتناقض مع هذه الآية.
وهكذا كل ما جاء من أسماء الله تعالى وصفاته فيجب أن يفسر

بما لا يتناقض مع الآية، وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

فقوله تعالى: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح٦]، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البيت٨]، فلا يجوز أن يفسر غضب الله بفوران الدم، وانتفاخ الأوداج، وأحمرار العينين.

ولا يجوز تفسير الرضى باشراح الصدر، وسكون دم القلب، وسروره وهدوءه؛ إذ أن ذلك كله تشبيه ومناقضة لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، بل يفسر الغضب بفعل الانتقام العاجل أو الآجل أو كليهما. ويفسر الرضى بفعل الثواب العاجل أو الآجل أو كليهما، أو الحكم بذلك.

ومن أسمائه تعالى حليم، ومعنى ذلك: أنه تعالى لا يعجل بالانتقام من العصاة، بل يمهلهم ويمدهم بالنعم. ولا يجوز أن نفسر ذلك برزانة العقل، وهدوء الأعصاب؛ إذ أن ذلك تشبيه وتمثيل الله تعالى بخلقه، وقد نفي الله ذلك كما ذكرنا سابقاً.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ﴾ [المائد١٦٤] قد تولى الله تعالى تفسير ذلك بقوله بعدها مباشرة: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائد١٦٤]، ولا يجوز تفسير ذلك بأن الله يدين اثنين بيسطهما؛ إذ أن ذلك تشبيه وتمثيل له تعالى بخلقه، تعالى الله عن الجوارح والأعضاء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر١٤] بمعنى: تجري في حراستنا وحفظنا.

وقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] بمعنى: على ما فرطت في طاعة الله، إذ التفريط إنما يكون في الطاعة.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِٰ وَيَقْنَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٣٧] معناه: ويقنى ربك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُظْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، ولا يجوز تفسير ذلك بالأعضاء والجوارح، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيمة: ٢٣] ناظرة بمعنى منتظرة لرحمة الله وثوابه، كما أن وجوه العصاة تتضرر يومئذ النقمـة الفاقـرة، والعـقاب الدـائم.

ولا يجوز أن يفسـر ذلك بأن الله يـرى يوم الـقيـمة؛ وذلك أن الرؤـية بالـعين لا تـقع إـلا عـلى المـخلـوقـاتـ، فـكل ما يـرى بالـعين فهو مـخلـوقـ مـحدثـ.

والـدلـيلـ عـلـى ذـلـكـ أـنـ لـا يـرى بالـعينـ إـلا ماـ كـانـ جـسـمـاـ أـو عـرـضاـ، وـالـلـهـ تـعـالـى لـيـسـ بـجـسـمـ وـلـا عـرـضـ.

[الحكم والمتشبه]

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَبُّعٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ أَبْيَقَاعَةُ الْفِتْنَةِ وَأَبْيَقَاعَةُ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾ [آل عمران: ٧٨] فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية أن في القرآن الكريم آيات محكمـاتـ هـنـ أـمـ

الكتاب، بمعنى: هن أصل الكتاب، وأن فيه آيات متشابهات، يتبعها الذين في قلوبهم زيف.

وأخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يعلم تفسير الآيات المتشابهات إلا الله والراسخون في العلم.

نعم، المسلمين اليوم طوائف مختلفة، وكل طائفة تقول: قال الله تعالى، وقال الله تعالى، و... إلخ؛ وحيثئذ فالواجب على المسلم أن يعلم أن في القرآن المحكم والمتشابه، فلا يغتر بقولهم: قال الله، قال الله؛ فلعلهم يستدللون بالتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم.

وحيثئذ فيجب على المسلم أن يتعرف على الراسخين في العلم، ويبحث عنهم، ويأخذ تفسير آيات الله منهم.

وقد قدمنا بعض الأدلة على أن الراسخين في العلم هم آل محمد ﷺ دون غيرهم من طوائف المسلمين، ولو لم يكن من الأدلة على ما قلنا إلا آية التطهير، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب]- لكتفى في ثبوت ما قلنا، كيف؟! وقد جاء بما يشهد لهم بما قلنا ما ضاقت عنه الأسفار لكثرته عند أهل السنة وغيرهم، وكفى بهذه الشهادة لهم من الله تعالى.

نعم، فمن أصول الدين العظيمة العلم بأن أهل البيت هم أهل الحق، وأنهم الراسخون في العلم، وأنهم المفسرون للقرآن، وأن من خالفهم فقد وقع في الظلال والزيف والهلكة وإن تمظهر بالصلاح والصلة

والزهد والورع والعبادة وترتيب القرآن؛ وذلك أن من خالفهم فقد خالف الحق الذي نزل به جبريل من السماء على محمد ﷺ، وخالف النبي ﷺ، وخالف رب العالمين، وأن من أطاعهم ودان بدينهم فقد دان بالحق، وأطاع الله ورسوله.

نعم، لما نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، جمع رسول الله ﷺ عليهما السلام علياً وفاطمة والحسن والحسين ولف عليهم كساء، ثم قال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً)), هكذا رواه أهل الحديث من أهل السنة وغيرهم، منهم مسلم في صحيحه ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره عند تفسير هذه الآية من سورة الأحزاب.

[تفسير آيات قد تتشبه معانيها]

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٨٦﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [التوكيد] المعنى: أن الله تعالى قد شاء للإنسان أن يختار أحد الطريقين: طريق الهدى، أو طريق الضلال، ورغبه في طريق الهدى غاية الترغيب، وحذر من طريق الضلال غاية التحذير.

فعلى هذا مشيئه البشر ليست مشيئه مستقلة عن مشيئه الله تعالى، فقد شاء الله للمكفل أن يختار أي طريقين.

وقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]

نقول: إن الهدى والضلال من الله تعالى تكون نتائج لأسباب

ومقدمات يعملاها الإنسان، فاheediyah هي من نتائج الأعمال الصالحة، والإضلal هو من نتائج الأعمال القبيحة، وهذا هو ما نجده واضحًا في قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد:٢٧]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنْهَدِيَّهُمْ سُبْلَنَا﴾ [الروم:٣]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا رَأْدَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧]، ﴿يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [الذين ينقضون عهدا الله من بعد ما يشاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويؤسدون في الأرض﴾ [البقرة:١٧]، ﴿كَذَلِكَ يَظْهَرُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٥٥]، ﴿فَلَمَّا رَأَغُوا أَرَأَغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف:٦]، ﴿كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكُسِّبُونَ﴾ [المطففين:٦]، ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٩٠].

نعم، الإضلal والطبع والزيغ الذي ذكره الله تعالى هنا فإنه وإن حصل بسبب من الإنسان فليس معنى ذلك أن الله تعالى أدخلهم بسبب معااصيهם في الضلال والزيغ فهم داخلون في ذلك، بل المعنى أن الله تعالى حجب عنهم ألطافه، ومنعهم من توفيقه، ووكلهم إلى أنفسهم، وعند ذلك تسسيطر عليهم الأهواء، وتستولي عليهم شياطين الإنس والجنة.

[الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

يجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وإنما يجب ذلك بشرط القدرة والتمكن على ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وبشرط المعرفة بأن ما يأمر به واجب، وما ينهى عنه حرم؛ وذلك لأن من لم يكن كذلك قد يأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف، وبشرط ألا يؤدي الأمر والنهي إلى زيادة المنكر؛ لأنه حينئذ يكون كالإغراء بالقبيح، وذلك لا يجوز.

ويجب أن تكون الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر باللين والرفق، وحسن القول؛ لقوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾ [الإسراء: ٨٤]. ولا يجوز ذلك بالمخاشنة والمغالطة والذم، وقد قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

[الإيمان باليوم الآخر]

يجب الإيمان والتصديق والاعتقاد بالبعث من بعد الموت بعث الروح والبدن، وذلك ليجزي الله كل نفس بما كسبت، فمن كان من أهل الإيمان والتقوى فسيinal الرحمة من الله، والرضوان

والغفرة والإحسان، وسيدخله الله تعالى برحمته جنات النعيم المشتملة على ما تشهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون، وفيها من النعيم ما لا يخطر على قلب بشر.

وقد اشتمل القرآن على كثير مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين التائين، وكل ذلك حق لا بد من وقوعه ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقُولُ لَدَنَّ﴾ [لق]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [الإسراء] ٨٧.

وكذلك يجب التصديق والاعتقاد أن من مات مصرًا على العصيان والكفران فإن له جهنم خالداً فيها مخلداً في العذاب الأليم، وشراب الحمي، ومقطعات النيران، كلما نضجت جلودهم بدهن الله جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، وكل ما قدمنا بما لا خلاف فيه.

[المؤمن، والفاقد، والمنافق، والكافر]

المؤمن : هو من أتي بالواجبات، واجتنب الموبقات.

والفاقد : هو الذي يرتكب معصية كبيرة، أو يترك فريضة قطعية جراءة وتعبداً . وحكمه: أنه لا يخرج من الإسلام، فيسمى مسلماً ولا يسمى مؤمناً، بل يسمى فاسقاً، وظالماً، و مجرماً وأثماً، وغاشماً، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِونَ﴾ [السجدة] ١٨.

هذا، وإن كان يظهر الإيمان ويبطن الكفر جاز أن نسميه منافقاً.

والكافر: هو من ينكر الصانع الحكيم، أو ينكر شيئاً من أسمائه الحسنـى، أو من يشبهه بخلقه، أو أنه يفعل المعاصي أو يريدها، أو أن له شريكـاً، أو ينكر الرسول ﷺ، أو شيئاً مما علم أنه من الدين قطعاً.

[فعل الله، و فعل العبد]

أفعال الله تعالى هي أجسام وما يلحقها من الأعراض. وأفعال العبيد هي حركات وسكنون لا غير، فالإنسان يجمع أشياء موجودة ويضم بعضها إلى بعض، أو يفرق بينها، ونحو ذلك مما لا عمل له سوى الحركات والسكنات، ثم يلحق الإنسان في عمله من التعب والنصب ما يلحقه، وذلك على حساب قلة العمل وكثنته، وعلى حسب أحوال الفاعل.

أما أفعال الله تعالى فأنها على خلاف أفعال العبد، فليس في أفعاله تعالى لا حركة ولا سكون، ولا يلحقه تعب ولا نصب، ولا يحتاج سبحانه إلى آلة ولا أعون **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الشورى ١١].

﴿سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْضَةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين.

تحريراً في العشر الأوـاخر من ذي الحجـة سنة ١٤٢٠ هـ.



الفهرس

٣	[المقدمة].....	
٣	أول الطريق إلى العلم بالله	
٥	المرحلة الثانية من التفكير	
٥	وهو بكل شيء عليم	
٦	هو الأول والآخر	
٧	وهو السميع البصير	
٧	ليس كمثله شيء	
٩	[آيات متشابهات].....	
١٠	[الصدق والتصور].....	
١١	[أدلة الكتاب والسنة].....	
١١	[وفاق وخلاف].....	
١٢	وربك الغني ذو الرحمة	
١٣	لا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار	
١٦	قل هو الله أحد	
١٧	[عدل حكيم].....	
١٩	ولا تزر وازرة وزر أخرى	
٢٠	لا يكلف الله نفسا إلا وسعها	
٢٠	والله يقضي بالحق	
٢١	يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر	
٢١	[محمد رسول الله ﷺ].....	
٢٣	[الإيحان بالكتب والرسل والملائكة].....	

٢٤.....	[أهل البيت علیهم السلام]
٢٦.....	[القول الفصل]
٢٧.....	[أساس الإسلام]
٢٧.....	[توضيح وزيادة بيان]
٢٩.....	[بيان شيء من مذاهب أهل البيت علیهم السلام في أصول الدين]
٣٣.....	[من أسماء الله الحسنة]
٣٥.....	[المحكم والمتشابه]
٣٧.....	[تفسير آيات قد تتشبه معانيها]
٣٩.....	[الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]
٣٩.....	[الإيهان باليوم الآخر]
٤٠.....	[المؤمن، والفاشق، والمنافق، والكافر]
٤١.....	[فعل الله، و فعل العبد]
٤٢.....	الفهرس